

رائد قاسم - ماثون القطيف .. كرفال للحرية !

بواسطة هيئة التحرير

لا شك إن مهرجان ماثون القطيف كان خطوة رمزية □ صاحبه تفاعل جماهيري رمزي مع قبل مجتمع متعطش □ للتغيير ، أكثر من ٣٠٠ سيدة وفتاة تجمعن محفلات في مناسبة □ غير دينية، لا تخضع لسلطة الكهنوت الديني □ التقليدي،

ماثون القطيف .. كرفال للحرية !

رائد قاسم

لا شك إن مهرجان ماثون القطيف كان خطوة رمزية □ صاحبه تفاعل جماهيري رمزي مع قبل مجتمع متعطش □ للتغيير ، أكثر من ٣٠٠ سيدة وفتاة تجمعن محفلات في مناسبة □ غير دينية، لا تخضع لسلطة الكهنوت الديني □ التقليدي، إلا انه بطبيعة الحال وفي ظل نظام اجتماعي يتصف □ بالجلافة والغلظة خرجت الأصوات المنددة بالماثون □، باعتباره أقيم مع دون موافقة منمنية مع قبل السلطة الدينية □ التوتارية ، ومع دون الخضوع لضوابطها وتعاليمها الدوغماتية ، وهنا تكمن الإشكالية العويصة ويبرز □ واقع الترهل والانحيار في أسس وقواعد النظام □ الاجتماعي السعودي ، فالمجتمعات الخليجية الأخرى تقام بيه □ ظهرانيها احتفالات ومهرجانات خاصة بمناسبة عديدة □ طوال العام ، ورغم ذلك فان المجتمع الوطني المتسم □ بالمحافظة والالتزام بالتقاليد والقيم الموروثة لا □ يلتفت إلى ما يجري فيها مع مخالفات جوهرية لنظمه وقيمه ، □ سواء مورست مع قبل أفراد مع نفس المجتمع أو مع المجتمعات الوافدة، ويعتبرها مع ضمن الحريات □ الشخصية والاجتماعية التي يلفها القانون ، فعلى □ سبيل المثال ذهبت إلى البحرين في أيام عاشوراء وهي □ المناسبة الأهم والأبرز في الفلكلور الديني □ والاجتماعي لدى الشيعة، وشاهدت كيف إن حدود أجواء عاشوراء □ التراجيدية محصورة في منطقة معينة مع السوق ، إلا □ انه على بعد أمتار منها فقط تعود الأجواء الطبيعية مرة أخرى، □ حيث السوق المكتظ بالمرتاديه الذي يمارسون العدي □ مع السلوكيات المتضاربة في إطار كفاة وحماية القانون □، وقد اعتاد الجميع على ذلك ، ولم يعد يشكل مصدر □ لأي توتر ، وكنت أيضا في زيارة لبلدة جد حفص في نفس □ المناسبة، ورأيت شبان بحرينيين وهم يقومون ببعض الإصلاحات في احد المساجد ومدت عليهم مجموعة مع □ النساء الفلبينيات مع الأتي يعملن في المحلات □ التجارية

القرية ، وكنه يرتديه ملابسهم التقليدية □ الإعتيادية ، ولم يندك عليه احد ذلك ، حيث تجاوز □ المجتمع البحريني هذه الإشكالية منذ زمه بعيد ، حيث كانت □ البحرية وما زالت مه أكثر الدول انفتاحا اجتماعيا □ في الخليج ، إلا إن المجتمع البحريني يعتبر في نفس □ الوقت مه المجتمعات التقليدية والمحافظة ، ولكه □ ذلك لم يمنعه مه تقبل الأنماط الاجتماعية الأخرى .

كنت في حوار مع احد شباب المنطقة الشرقية فقال لي □ إن المنطقة بها الكثير مه المعالم الأثرية التي مه الممكن أن تكون منطقة جذب سياحي رائع ، فقلت له إن □ هؤلاء السياح سيمارسون حياتهم الإعتيادية فله □ ترتدي نسائهم العباءة أو الحجاب ، وربما يرتدي رجالهم □ الشورت! وهذا يعني أنهم سيؤثرون بشكل سلبي على □ مجتمع الفضيلة وربما تحول مدن المنطقة إلى مدن تمارس □ فيها الكثير مه المحرمات كبعض مدن الخليج سيئة □ الصيت ! فتغير لونه واضطربت ملامح وجهه ولم يعطي جوابا !!!

ثمة نقطة في غاية الأهمية ، فالمحافظة على النمط □ الاجتماعي وتطويره وفقا لهويته الحضارية ، وبما □ ينسجم مع معطيات العصر وانجازات الفكر البشري ليس بالأمر □ المستحيل ، فمجتمعات مثل دبي وكوالالمبور ما تزال مجتمعات محافظة على شخصيتها الحضارية وهويتها □ الدينية والأخلاقية والقيمية ، ورغم ذلك لم تمتد □ مع الحاق بركب الحضارة ، مما يعني إن وصم مجتمع ما □ بأنه محافظ لا يعني انه متخلف أو رجعي ، فالسويد □ مثلا مجتمع محافظ ، وقد اقر البرلمان في الأعوام □ السابقة حظر الدعارة وعرض الأفلام الجنسية □ وإعلانات التبغ والخمر ، في التزام واضح بالتعاليم الدينية □ والأخلاقية ، مع إتاحة الفرصة لممارستها مه خلال □ تحويلها إلى جزء مه الحريات الشخصية والأنماط الاجتماعية □ الفرعية ، وفي استفتاء اجري في بريطانيا في العقد الماضي رفضت الأغلبية الساحقة مه البريطانيين □ النظام الجمهوري رغم انه أكثر حداثة وعدالة مه □ النظام الملكي ، ورفضوا تغيير مكانة الملكة وصلاحيات مجلس □ اللوردات ، ورغم ذلك فاه كلا المملكتيه (بريطانيا والسويد) مه أكثر الدول احترام وتقديسا لحقوق □ وحرريات الإنسا مه أكثر الدول تقدما ورقيا .

في بعض المجتمعات كالمجتمع السعودي فاه النقط ساعد □ على إبقاءه محافظا على نظمه ، بل ووفرت له فرصة الانعزال والانغلاق وعدم الحاجة للانفتاح على □ العالم ، إلا إن ذلك جعل منه مجتمعا استهلاكيا مه الطراز الأول ، حيث إن بناء اقتصاد حقيقي لا بد أن يقوم □ على الإنتاج والمعرفة والمشاركة والانفتاح الفعلي □ على العالم الخارجي ، وتطوير عميق في الأسس الاجتماعية □ والثقافية والسياسية والقانونية والتشريعية ، إلا □ إن ذلك لم يحدث ، ونظرا للتطور الإنساني الهائل فاه □ البترول لم يعد يكفي لازدهار المجتمع اقتصاديا □ فتعددت سبل الحياة وسادت التناقضات وعانى المجتمع مه □ إشكاليات ومشاكل عميقة ، لم يجد لها حلا حتى الان □ وما زالت تنخر ببط في الكيان الاجتماعي ، منذرة بانفجار □ وشيك .

مارثون القطيف واجه اعتراضات واسعة النطاق من قبل القوى الدينية الاستبدادية ، التي وجدت فيه بادرة خطير على سلطتها ونفوذها ، يدعمهم في ذلك عريض من قبل جماهير غوغائية متسمة بالغباء الفكري والتخلف الذهني والتكوص الإنساني والرداءة البشرية ، إلا أن حجم المشاركة ونوعيتها ليس سوى دليلا أيضا على رغبة وطنية ، وطموح شعبي ، ووعي جماهيري واسع النطاق في الانفكاك من العزلة المطبقة ، والسلطة الدينية الاستبدادية ، والنظم الاجتماعية القهرية ، والتعاليم الأخلاقية الطاغوتية، والبدء بالانفتاح والأخذ بمسببات وأسباب التقدم والازدهار والحداثة .

إن المسألة مسألة وقت فقط ، وإن الأمور بدأت تخرج من نطاق سيطرة القوى التقليدية ، فالشعب السعودي أشبه بقافلة متوقفة بالقرب من واحة بوسط الصحراء ولم تحدد أي الطريق تسلك ، إلا أنها سئمت البقاء في الواحة وتريد الوصول إلى بر الأمان وشاطئ السكينة ، وبسبب بقائها الطويل في الواحة فقد أغلقت أمامها كافة الطرق ولم يبق إلا طريق واحد فقط ، أو تبقى في مكانها حتى يجف ماء الواحة ويموت زرعها لتموت معها!! على السعوديين بمختلف أطرافهم وانتماءاتهم أن يتذكروا العالمة الجليلة السيدة حياة سندي وكيف أنها ملتزمة بهويتها الشرقية ولم تواجه أي تمييز أو اضطهاد فأبدعت وأنتجت وأصبحت عالمة مشهورة. وعليهم أن يتذكروا العالمة الجليلة السيدة غادة المطيري وكيف أنها لم تقبل في برنامج الابتعاث الحكومي! فاتجهت للدراسة على حسابها فأبدعت وأصبحت من اللاتي يشار لهن بالبنان، ولم يمنعها عدم التزامها بالحياب من أن تكون مفخرة لشعبها وأمتها ومجتمعها.

لم أنسى ذلك البر فيسير الهندى الذي يدهه وجهه كل يوم بيول البقرة قبل توجهه لمقر عمله في مركز أبحاث الفضاء الوطني، قائلا البقرة هي أمي بل هي أفضل من أمي!! ، وبعد أداءه لواجبه الديني يذهب لعمله بكل جد واجتهاد ، ويتعامل بكل إنسانية ووطنية مع زملائه من ذوي أي تمييز أو انعزال .

على السعوديين أن يختاروا ما ييبه إن يبقوا في الصحراء وحيديه أو أن يسيروا في طريق إخوتهم في الإنسانية والانتماء البشري، واجزم بأن الجيل السعودي الجديد من مختلف انتماءاته الدينية والثقافية له يختار سوى الحرية بكل ما تحمله من نور وسعادة وضياء ، بيد أنه حتى ذلك اليوم فإن ذاكرة الحرية تكون قد سجلت بأن مارتون القطيف كان كرنفال رائع للحرية التي سيندوقها شعبنا يوم لا محال .